مجلة المهاجر

العدد : ١٩٠ الموافق في محرم ١٤١٨ هجري ٦ / ١٩٩٧ ميلادي

من أخبار المسلمين في الغرب : أستاذي	بقلم : فؤاد الدين المستصرخ

أستاذي رجل عادي ، متوسط القامة ، مرفوع الهامة ، بلغ من السن عتيا ، لا يُرى على وجهه أثر التشاؤم. أستاذي بلا موطن لأن الأرض كلها موطنه بل هو قد يسكن كل بيت من بيوت المسلمين. الحق يقال أنني بأفكاره وآرائه معجب وإن كان يعتبرها دائماً اجتهادات قد انقدحت في ذهنه ، فلذلك يصيبها الخطأ كما يصيبها الصواب ؛ لأنها من صفاتنا - نحن البشر - إلا من اصطفى الله جلّ وعلا من خلقه.

أستاذي علمني الشيء الكثير ، كل حصة من حصصه الأسبوعية نحس بالجديد في كلامه ، والصدق في أقواله ، وبالجدة في طرحه.

أستاذي عنوان التواضع : يدخل الفصل في وقار وثبات ، يجلس على كرسيه بعد أن يقدم تحية الإسلام ، يبدأ كل حصة بقوله : « أرجو أن يعينني كل منكم بالصبر فإني أتيتكم وأنا أشعر بمرض شديد : فاللهاة تبتلع عندما أتكلم و... ». إحساس دائم بالضعف والانكسار ، خارج الدرس يلاعب الطفل الصغير ويوقر الشيخ الكبير ويعطف على الضعيف والفقير. لم يكن يوماً متجبراً في آرائه ، ولا في تعامله. الناظر إلى وجهه منكم سيحس بالانشراح. كثيراً ما يداعبنا بملح الكلام ، حتى أنني أتذكر أنه يقول عندما يحس بشيء من الضجر « مللتم مني حتى أنكم لم تضيفوني بقهوة ولا شاي - ويسترسل - صحيح أن مثلي متقاعد ». إخوتي في كل مكان ، إن مثل أستاذي في تواضعه - في عالم تنقصه التربية الإسلامية الحقة - كشمعة في ليل حالك شديد العواصف.

أستاذي يرسم الطريق

إخوتي في كل مكان حين أحدثكم عن أستاذي لا أعظمه ولا أقدسه ولا أشبهه بأحد ، وإنما أريد بوصفي له استنباط العبر. فأستاذي ليس نهاية التفكير والتدبير ، وهذا ما يكره أستاذي بأن يوصف به ، حتى أنه في إحدى الحصص بدا متجهماً ورفع صوته مدوياً « يجب ألا نكون سقفاً لأفكاركم. كلما ضاق هذا السقف خرجتم كالأقزام ، لا نريدكم بيادق نحركها كيف نشاء » فالطريق الأول هو التحرر من التقوقع الفكري والانحسار الثقافي والانقلاب الحركي.

إن أستاذي نقطة قد تكون البداية للتفكير لا النهاية كما يعتبر بعض زملائي في القسم.

إن خطوة التحرر تكمن في الاجتهاد وفق ضوابطه المعروفة ، هذه الخطوة التي تزيح الصخرة الكبرى التي تعترض الطريق ، ولكنها ملزومة بالإيمان المخلص الراسخ الصلب الثابت لله عز وجل ، الإيمان الذي يرفع صاحبه إلى التفاؤل لتنزاح الصخور الصغيرة ، الإيمان بأن بعد كل خريف ربيعاً ، وبعد كل ذبول ازدهاراً. فلا بد إذن أن نتجدد على الدوام ، ولا بد من الإبداع المتواصل والجهاد المضني في كل مجال ، حتى لا يبقى في الطريق إلا بعض الحصى وبعض الغبار ننفثه بالشجاعة ؛ بأن نكون شباباً لهم روح وطموح ، لا شباب اليوم ؛ وهن الشيخوخة وعجزها قد أسدل عليهم غشاوته.

إخوتي في كل مكان فكروا فيما قاله أستاذي تلتمسوا لي العذر في اتباعه.

إنه أستاذي فحدثوني عن أستاذكم ؟!.